العنف الأسري

أ . أناهيد السميري

بسم الله الرّحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكن سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

- ✓ منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- ✓ هذه التّفاريغ من اجتهاد الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- ✓ الكمال لله –عزَّ وجلَّ–، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

عناصر الدرس:

- الأسرة آية من آيات الله، لابد من التفكر فيها.
- **القاعدة الأولى**: أن المودة والرحمة أحد عطايا الله.
- كلَّما نقص الإيمان، نقصت عطايا الله (ظاهرة العنف الأسري أحد شواهد ضعف الإيمان في المجتمع).
- لعلاج العنف الأسري علينا أن ننشر الإيمان، وقاعدة الإيمان معرفة الرحمن.
- لو عرفنا الله لاستقامت حياتنا، وعندما لا نعرف الله يصاب الإنسان بأمراض قلبية تسبب له العنف الأسري، ومن أشهرها مرض العلو.
- **القاعدة الثانية**: الشعور أن الأبناء هبة أعطانا الله والمفترض أن لا نكفر بهذه الهبة.
- أحد أسباب العنف الأسري الشعور بالثقل من وجود الأبناء.
- **القاعدة الثالثة**: الشعور أن التربية من الله ونحن مرشدين في التربية.
- العنف الأسري أحد أسبابه: عدم التعلق بالله في تربية الأبناء.
- **القاعدة الرابعة**: أن الشريعة أرشدتنا لقواعد التربية، منها: الرفق.
- الرفق لا يكلف كثيرًا في مقابل أن العنف استجابة لهوى النفس وبعدٌ عن التقوى.
- توضيح للتقوى.
- شرح معنى اسم الديان لعلاج مشكلة شعورنا أن هؤلاء الأبناء مُلْك لنا وأن الله تعالى لن يحاسبنا عليهم.
- مما يحدّ من ظاهرة العنف الأسري (تنمية المراقبة لله في التعامل مع الأبناء).
- تعريف العنف الأسري.
- من أنواع العنف: العنف الجنسي (أمور ينبغي لنا الانتباه لها لمعرفة إن حصل هذا العنف).
- من أنواع العنف: العنف بالكلام.
- تاريخ العنف.
- الأسباب التي تساعد على وجود العنف الأسري (ذاتية، اجتماعية، مجتمعاتية).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله الذي يسَّر لنا هذا اللقاء، ونسأله-سبحانه وتعالى-أن يجعله لقاءً مباركًا مرحومًا اللهم آمين.

نناقش اليوم موضوع من مواضيع الساعة! الذي لم يطرأ على مجتمعنا إلا متأخرًا وهو موضوع (العنف الأسري).

نريد أن نقرر ظواهره، وطريقة علاجه، لكن قبل أن أدخل في الموضوع لا بد أن أقدِّم بمقدمة للكلام حول الأسرة نفسها، وكيف أنها من نعم الله -عزَّ وجلَّ-على خلقه.

نبدأ أولًا بتقرير أن:

الأسرة هذه المكونة من الزوج والزوجة بنفسها آية من آيات الله

والله-عزَّ وجلَّ-في كتابه يقول: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[1] هذه الآية رغم تكرارها، ورغم استشهادنا الكثير بكلمة مودة ورحمة في هذه الآية، لكنها لم تأخذ حقها من جهة التفكُّر.

وفي بداية سورة الروم يذم الله -عزَّ وجلَّ-بعض الخلق في وصفهم:{يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ}[2] : بمعنى أنه سيكون على الأرض قوم يعلمون فقط ظاهر الحياة الدنيا، والآخرة ما حالهم عنها؟ غافلون عنها، الذي يغفل في حياته عن الآخرة سيعيش تحت ظل أفكاره، تحت ظل قناعاته، ومن ثم يُفسد حياته وحياة غيره.

{وَمِنْ آيَاتِهِ}: ومن آيات الله الدالات على كمال صفاته.

{لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}: بمعنى أن هذه الآية لا ينتفع بها، ولا يفهمها، ولا يستفيد منها إلَّا من يقوم بعبادة التفكر، وهذه الآية منهج أن أردنا الإصلاح للبيوت.

من الآية الأسرة عبارة عن ماذا؟ عبارة عن أحد أدلة كمال الله، كمال صفاته-سبحانه وتعالى-، لو كنت تعبد الله بعبادة التفكُّر كل أسرة قائمة موجودة تراها من آيات الله؛ لأن اجتماع أشخاص وبناء البيوت ليس أمر طبيعي، إنما في الحقيقة هو أحد آيات الله-عزَّ وجلَّ-، من جهة أن التراكيب النفسية الموجودة في النفوس مثل: كثرة الاحتكاك، ظروف الحياة...كل هذه أشياء تسبِّب هدم الأسرة، ومع ذلك نرى أن الأسر لا زالت قائمة.

لو قلت لك: ستجلسين مع شخص عشرين سنة، وتخالطينه ليل نهار، أقرب شعور يدخل إلى قلبك شعور الملل! بمعنى أنه لو طفل صغير يناقش هذه المسألة يقول: كيف أنا أعيش بنفس المكان ومع نفس الأشخاص ولا أملّ؟!

الذي يحصل في البيوت عكس ذلك، كلَّما زادت الفترة الزمنية، زاد الترابط، وهذا دليل على أن هذه آية من آيات الله.

كم فِعْل من أفعال الله في الآية؟

---

(1) [سورة الروم: 21]

(2) [سورة الروم: 7]

1- {خَلَقَ لَكُمْ} إذًا ننظر عندما يقول الله لنا: {وَمِنْ آيَاتِهِ} أي مما تتعبدون الله بالتفكر فيه، عليكم أن تعبدوا الله بالتفكر في هذه المسألة أن {خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا}، ماذا يحصل مع هؤلاء الأزواج؟ {لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا}، من الذي يُنزل السكن؟! الله -عزَّ وجلَّ-.

2- {وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً} بمعنى أنك الآن كلَّما رأيت مودة ورحمة في البيوت تفهم أن الذي أعطاها وأنزلها هو الله -عزَّ وجلَّ-.

على ذلك كلَّما رأيت بيتًا فقد المودة والرحمة سترشد أهله أن الذي يُعطي المودة والرحمة هو الله-عزَّ وجلَّ-والذي يأخذها ويمنع أهلها هو الله-عزَّ وجلَّ-فكل بيت فيه مودة ورحمة أنزلها الله، وكل بيت ليس فيه مودة ورحمة نزعها الله.

إذا أردتِ أن تقيمي دورة للمقبلات على الزواج وعنوانها: كيف تنجحين في تكوين أسرة فيها مودة ورحمة، ماذا ستقولين؟ أن المودة والرحمة هذه هبة من الله، فإذا أردتها تعلق بالله، وإذا رأيتها نزعت راجع علاقتك بالله، ثم اعلم أن الله-عزَّ وجلَّ- هو الذي يسبب أسباب المودة والرحمة، كم امرأة تزيَّنت وتزيَّنت وتزيَّنت وماذا يحدث في الطرف الثاني؟ ينصرف وينصرف وينصرف! كم امرأة تقول لكِ: أنا فعلت كل شيء ممكن تفعله المرأة، ومع ذلك غير مقبل عليّ! كل هذا لأن آية في كتاب الله لم يُلتفت إلى فهمها، كل أسرة تحتاج أن تعبد الله بعبادة التفكر؛ لأنه يقول-سبحانه وتعالى-: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} كل أسرة موجودة آية من آيات الله، كما اتَّفقنا المشاعر الإنسانية الطبيعية أن شخص احتك به ليل ونهار سيتولد في القلب ملل منه، هذه طبيعة الإنسان، إلَّا عند الأسرة فالله يجعل العكس، كلَّما زادت الفترة الزمنية زادت الألفة والمحبة؛ لترى آية من آيات الله، كيف أن هذه القلوب بيد الله، يصرِّفها-سبحانه وتعالى-كيف شاء.

وهذه نقطة البداية في الكلام عن العنف الأسري:

لا يصبح هناك جو عنف أسري إلَّا عندما نفقد هذه القاعدة:

أن المودة والرحمة أحد عطايا الله، كلَّما نقص الإيمان، نقصت عطايا الله.

كلَّما نقص الإيمان نقصت المودة والرحمة، كلَّما نقصت المودة والرحمة التي تأتي بالرفق، كلَّما استبدل الرفق بالعنف.

إذًا ظاهرة العنف الأسري عبارة عن ترجمة لضعف الإيمان المنتشر في المجتمع؛ لأن المودة والرحمة هذه من عطاياه، لا تستطيع أن تخلق بين زوجين مودة ورحمة مهما فعلت، ولا أن أدخل ابنتي على بيت زوجها وأقول لها: أنتِ جميلة لن يرى غيرك، أنتِ رشيقة لا يستطيع أن يلتفت إلى غيرك، أنتِ لبقة، كلامك جميل كوني واثقة من نفسكِ...أبدًا لا يمكن أن أدخل ابنتي بهذه الطريقة، بالعكس، عليّ أن أقول لها: كل المقومات التي عندك لا تنفعك إلَّا إذا نفعك الله بها.

وعلى هذا أول ما يبدأ النقص في المودة والرحمة، التفت إلى المصدر الأساسي لهذه المودة والرحمة فتُحل المشكلة، تزيد إيمانك تزداد عطايا الله، تنقص إيمانك تنقص عطايا الله، ونقص المودة والرحمة مجرد ذوق، الله لا ينزعها نزعًا لكن تنقص قليل؛ لكي تراجع نفسك.

على هذا أول قاعدة نتفق عليها في مسألة العنف الأسري: ظاهرة العنف الأسري أحد شواهد ضعف الإيمان في المجتمع.

إذا كانت أحد شواهد ضعف الإيمان، إذًا بكلمة مختصرة **لو أريد أن أعالج العنف الأسري، ماذا أنشر؟**

أنشر الإيمان، لو انتشر الإيمان بين أفراد المجتمع سيقابل ذلك أن الله من عطاياه المودة والرحمة، ولا يمكن أنك تعيشي الحياة، تتصوري أن الحياة شيء والدين شيء، نحن عباد نعلم يقينًا أننا نمارس العبودية والعبادة، وهذا مفهوم مهم جدًا، طوال الحياة تعيشين مفهوم العبودية، وعندما تصلّين، تصومين، تزكين، تحجين...نعبّر عن العبودية بالعبادة، نحن طوال الوقت عندنا مشاعر في قلوبنا أننا فقراء، والله هو الغني، أننا عاجزين والله هو القادر، أننا ضعفاء والله هو القوي.

لا بد أن نضع المشكلة أمام أعيننا وأمامها الحلول، لابد أن نفهمها بعمق؛ كي نعطي المسألة حقها، ظاهرة العنف الأسري مردود نقص الإيمان، العنف لا يأتي إلا عندما يفقد الرفق، والرفق لا يوجد إلّا بسبب أن الله يهب لخلقه المودة والرحمة.

مفهوم نقص الإيمان: هناك من يقول: نحن نصلي ونصوم ونعبد الله ونذكره ونقول أذكار الصباح والمساء، فأين نقص الإيمان؟!

نحن في حياتنا لا بد أن نفهم أننا نمارس العبودية، نحن عبيد لملك عظيم، ثم وقت صلاتك، وقت صيامك، وقت حجك، وقت زكاتك تمارس العبادة التي هي تعبير عن العبودية، **ما هي العبودية؟**

العبودية الشعور الدائم في القلب بالعجز، والنقص، والفقر، هذا الشعور المفترض أن يولِّد طاقة إيجابية كما يعبرون، الطاقة الإيجابية تأتي بالذلّ للملك العظيم، الذل من الفقير للغنيّ على الحقيقة، الذُّل من الضعيف للقوي على الحقيقة، الذل من العاجز للقادر على الحقيقة.

لكن نكتشف أننا ضعفاء وفقراء وعاجزين ثم نتخبَّط، نريد دفع هذه المشاعر عن أنفسنا، هذه المشاعر مزعجة، مزعج أن تشعر أنك فقير، فقير إلى طعام تأكله، فقير إلى شراب تشربه، فقير إلى فراش تنام عليه، فقير إلى حذاء كي تلبسه لتسير... هذا هو الفقر، أنت لست غني بذاتك، أنت تحتاج أشياء كثيرة كي تبقى مستقرًّا، أكلت وشربت تحتاج دورة المياه، خرجت منها بدأت تشعر بالجوع، مارست العمل تريد أن تنام، نمت تريد أن تقوم...طوال الوقت وأنت تتقلب في فقرك، عندك أماني كثيرة لا تستطيع أن تصل إليها، لست قادرًا عليها، أشياء كثيرة أمامك لكن لا تملك حول وقوة لتمد يدك وتأخذها، مشاعر الضعف مزعجة لكنها تعينك على دخول الجنة.

ربنا عندما خلقك من تراب، وجعلك فقيرًا، عاجزًا، ضعيفًا؛ كي يعينك أن تدخل الجنة، لو خلقنا من ألماس لكان أصابنا الطغيان! قال تعالى:{إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ}[1] أي مفاتيح أماكن الكنوز لا يستطيع حملها العصبة (الجماعة الذين فيهم قوة) لكنه ماذا استفاد؟! طغى، وهذه إحدى الأوصاف التي تمنع الإنسان عن ربه.

(1) [سورة القصص: 76]

مثل ذلك الذي ييسر للعسرى، ما صفاته؟ {وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ}[1] ربنا يعطيه عطايا ويستغني عن ربه.

ما علاقة هذا بالعنف الأسري؟

نرى عندما يكون الوالدين يشعرون بمشاعر العبودية، والذل والفقر والضعف، ثم يصرفونها من أجل أن يتعلقون بالله، عندما يقول الأب والأم ((وَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ))[2] عندما يتعلَّق بحبال الله وهو شاعر بفقره، وعندما يقول: ((اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي))[3] يعلم أن فيه شرًّا، لابد أن يلهم رشده، ما يخذله الله مادام أنه وقف عند بابه. أو يقول مثلما أوصى الرسول-صلى الله عليه وسلم-عليّا قل: ((اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي))[4]، هل تتصوري عائلة صدقت في ذلها وانكسارها لربها، تعلقت بحباله، صدقت في إحساسها بالضعف، والخوف من النفس؛ فعندما يأتي عنف يأتي من هوى النفس.

إذًا الإيمان ليس معناه أن الناس يصلُّون ويصومون، قد يصلي المصلِّي وهو لم يعلم ماذا قال من التكبير إلى التسليم! نعم، هذا أحسن حالًا ممن لا يصلي، لكن الإيمان هو معرفة الرحمن، أليس رأس الدين كله الإيمان بالله! وأليس رأس الإيمان بالله معرفة الله!

وأنت في الحياة اسمك (عبد)، فإذا كنت عبدًا محققًا للعبودية لا يمكن أن تعتدي على غيرك، عندما تعرف أنك عبد لملك عظيم.

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ قَالَ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلاَمًا لِي فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا: ((اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ!)) فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم-فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللَّهِ. فَقَالَ: ((أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ))[5] ماذا كان يحتاج؟ وعظ كي ينتهي عن ضربه، فقط كلمة واحدة وانتهى.

فالضعف الحاصل في المجتمع سببه الرئيس أنهم لا يعرفون الله.

يقال بعد كل صلاة: ((اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ وَمِنْكَ السَّلاَمُ))[6] لكن ما معنى اسم الله السلام؟! ماذا تعرف عن الاسم؟! لا يعرفه، ولذلك لا تراه مسلِّمًا الخلق من شره.

ومثله بعد كل صلاة نقرأ سورة الإخلاص، تقول لنفسك: أنا لي واحد، وهو صمدي أي هو سيدي الذي قد كمل في سؤدده، أفزع إليه في كل حاجتي، وأتيقَّن أنه يسد حاجتي، فعندما يذكِّر الإنسان نفسه أن له مفزعًا وركنًا شديدًا، ماذا يحصل في ضغوطه إذا كان متيقنًا؟ المفترض أن تنسحب كلها، كأنها تُشطف كلها، لو لم يحصل الصمود والفزع للملك العظيم حصل العكس، تغضب وتضرب أولادها، يغضب ويضرب أولاده، ويقولون ضغوط عمل! منذ زمن ضغوط الحياة

---

(1) [سورة الليل: 8]

(2) أخرجه النسائي في ((السنن الكبرى)) (10405)، والبزار (6368)، وابن السني في ((عمل اليوم والليلة)) (48) باختلاف يسير.

(3) رواه الترمذي وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ.

(4) رواه مسلم في صحيحه(كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، 2725)

(5) رواه مسلم في صحيحه(كتاب الإيمان، باب صحبة المماليك، 1659)

(6) رواه مسلم في صحيحه(كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، 592)

كلها بلاءات لكن مع ذلك كان القوم مع بلائهم أرحم ما يكون لأن الرحمة أمر فطري موجود ينمّيه الله في القلب، لكن عندما تصبح الدنيا في القلب والآخرة غير موجودة من جهة، وعندما يصبح الرب الملك العظيم مجهول ولا يعلم إلا ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون، تأتي قسوة القلب! يكون شيء من لحمك ودمك وتعذبه!

الطبيعي أنه تتكون المحبة في قلب الأم مع حركة الجنين، فكيف يمكن أن تقسى القلوب! أتكلم عن العنف الأُسري من جهة الأمهات وليس الآباء، كيف يكون الشيء قطعة مني أخرجته من بين أضلعي، أتحوَّل إلى معذب له! هذا ما يقبله العقل، إلا أن الفطر السوية مع القلوب انشغلت بالدنيا، وسيأتي هذا الكلام من ضمن الأسباب.

المقصد أن ضعف الإيمان ظاهرة يجب علاجها، ضعف الإيمان سبب العنف الأسري، بكلام مختصر: إذا كنت مؤمنًا بالله وبكمال صفاته تعرفه حق المعرفة، ستمارس في الأرض العبودية وليست تكبرًا {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً}[1] فرعون أُصيب بمرض العلو وظن نفسه شيء، كان من آثار العلو أنه يستضعف طائفة، لا تظني لمَّا أتتك الآية كان الخبر عن فرعون ونحن ليست لنا علاقة، العلو مرض من الأمراض يصيب الناس، أثره الاستضعاف، الاستضعاف للضعفاء.

أول شيء ونحن ندرس ظاهرة العنف الأسري لا بد أن نعرف أن الأسرة هذه هبة من الله، عطية من الله، آية من آيات الله كل ما تراه من مودة ورحمة في العائلة اعلم أنه من عطايا الله، كلَّما نزعت اعرف أن الله -عزَّ وجلَّ- يبين لك أن ضعف حصل في الإيمان، فعندما تريد أن تعالج العنف الأسري عالج قاعدته (الإيمان)، قاعدة الإيمان معرفة الرحمن، نحن نعرف تفاصيل كثيرة عن أمور كثيرة لن نسأل عنها لا في قبورنا ولا عندما نلقى الله، في المقابل علمنا عن الله أقل!

أليست الجرائد تشتكي من كثرة ما فيها، أليست المنتديات وصفحات الانترنت تشهد بتقليبنا ومرورنا، كل هذه القدرات تظن نفسك لن تحاسب عنها! ستحاسب عن هذا كله، القارئ ليس مثل الذي لا يقرأ، كل هذا يحتاج له الرجوع للوراء.

فلِكي أعمل برنامج لإصلاح المجتمع من جهة الأسرة، لا بد أن أعرِّف القوم بالله، إذا عرفوه لانت قلوبهم، إذا عرفوه تعلَّقوا به، إذا عرفوه علموا أنه قادر عليهم، سمعنا كيف أن الرسول-صلى الله عليه وسلم-قال للرجل الكلمة التي أوقفته، ((لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ!)) عندما نفكر في اسم الله الديان ستحل بعض المشاكل من التعدي الحاصل من الكبير للصغير.

نحن لو عرفنا الله لاستقامة حياتنا، وعندما لا نعرف الله يصاب الإنسان بأمراض قلبية تسبب له العنف الأسري، ومن أشهر الأمراض التي تسبب العنف مرض العلو {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا}[2] معناه أن العلو أحد الأمراض التي تصيب النفس.

ما هو مرض العلو؟ يصيب من؟

(1) [سورة القصص: 4]

(2) [سورة القصص: 83]

مرض العلو له علاقة عكسية بالحقوق، بمعنى أن العلو هو مشاعر تجعل الإنسان يشعر أن ليس لأحد حق عليه، مثلًا تعرفون أن السلام حق لكل مسلم، هل قرأت نصًا شرعيًا يقول لك أن السلام فقط للكبار؟! كم مرة شعرنا أن هؤلاء الصغار لهم حق علينا أن أقول لهم السلام عليكم؟!

مرض العلو يدخل الإنسان وهو لا يشعر، فالصغار والخدم وكل أحد مستضعف يمارس عليه مرض العلو، مرض العلو ليس شرطًا أن يكون فيه إفرازات، يكفي أن الإنسان يشعر بنفسه، ويشعر أن ليس لأحد حق عليه.

أولادنا لهم حق علينا، عندما يغضبونا ماذا نفعل لهم؟ نقول: أنا ربيتك، وصرفت عليك، وأعطيتك...وهذا من العنف لأن الكلام يعتبر من العنف، هل تعرفين كبيرة المن ماذا تفعل في عمل العبد؟! تُذهب العمل! لماذا تمنين عليه بشيء من حقوقه؟! لماذا وهبكِ الله أبناء؟ كي ترييهم! صارت التربية التي هي رئيسة من عملك تمنين بها!

ومثله على هذا الزوج المسكين، حتى الزوج يُعامل بالعنف الأسري؛ لأنه يأتينا تعريف العنف هو التعدي بالكلام هذه المرحلة الأولى، ثم التعدي البدني، فالتعدي بالكلام طوال الوقت يمارس عليه، وهذا من كفران العشير.

إذا عرفنا الله تأتي المودة والرحمة، إذا لم نعرف الله يأتي مرض العلو؛ لأنك لو عرفت الله ستصبح عبدًا،كسيرًا، ذليلًا، تخاف، تحمل هم، تعرف أنك ستحاسب، ولما تصاب بالعلو تظن أن لا أحد له حق عليك.

إذًا أول كلمة لو أريد أن أقدم برنامج للعنف الأسري: سأعلِّم الناس عن الله؛ لأن كل ذل وانكسار يساوي رفق، يساوي رحمة، يساوي عطايا من الله، لو تعلقت بالله وهبك الله الرحمة، الرحمة في القلوب من إشارات الإيمان.

أيضًا مما تقرر ونعلمه يقينًا أن:

الأبناء من آثار اسمه الوهاب

بدليل قوله تعالى: {لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ (49) أو يزوجهم ذكرانًا وإناثًا ويجعل من يشاء عقيمًا}[1] فمن اختبارات الله وابتلاءاته لخلقه أن يمنع عنهم العطية العظيمة التي هي عطية الأولاد، عطية، هبة، أحد زينة الدنيا ومتعها، عطية تُدخل البهجة إلى القلوب، زينة الحياة الدنيا، انظر كيف يمنع بعض الخلق هذه العطية؛ لأن الله أراد بهم أمرًا، المشكلة الآن ليس في مَن منع بل فيمن وهبه الله، فلم يكن معاملًا لله فيما ينبغي، فالذي مُنع يكون فيه انكسار لطلب النعمة، والذي وُهب ولم يعرف أن الله هو الوهاب يصاب بالبطر، فأحد أسباب العنف الأسري الشعور بالثقل من وجود الأبناء، لا نشعر أن الله هو الذي وهبهم. فهذه نعمة تستلزم منك الشكر، فإذا لم تعبد الله باسمه الوهاب، ويكن منك شكره، لابد أن يأتي عكس ذلك وهو الكفر بنعمة الله، كل مظاهر العنف الأسري كفرٌ بنعمة الله، {إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا}[2].

كل مرة تستثقل الهبة وتقول لأولادك: أنا كنت في بيت أهلي معزَّزة مكرَّمة ومن يوم ما رأيتكم وجئتم ما رأيت الخير...! إلى آخر الكلام الذي نسمعهم إيَّاه، كل هذا الكلام عنف بنفسه، كل هذا كفر بنعمة الله، لا بد أن نفهم أن الخطايا التي نرتكبها في العنف ليست خطية بيني وبينهم وليس لله حق فيها، بل هي اعتداء على حق الله ثم اعتداء على حقهم، والله يقول: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}[3] ما نراه من محق للبركات في البيوت، ما نراه من انقلاب من الأبناء على آبائهم، ما نراه من عنف من الأبناء على الآباء إنما هو من آثار كفر النعمة، بمعنى أنه جعل الله هؤلاء هم عذابك الشديد في الدنيا قبل الآخرة.

متى تحسسنا أنها نعمة، متى زادنا الله بركات لهم، القضية ليست قضية حسابية، أنت عبد مرزوق، مكتوب لك الرزق، ثم أنت عبد شاكر تنزل عليك البركات، ألا تسمع قول الله-عزَّ وجلَّ-في الحديث القدسي: ((يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ))[4] تأتي أم عندها أربع بنات وتقول: عندي مصيبة كبيرة كيف أكسي هؤلاء الأربعة! نعيش الحياة كأننا لا نعرف الله، قولي: يا رب اكسني، وبمجرَّد أن تضعي رجليكِ في السوق تجدي كسوتك، ويأتي لكِ بأرخص ما يكون وأنفع ما يكون، ألسنا دائمًا نعبِّر بكلام بعيد عن وصف الله-عزَّ وجلَّ-عندما تأتينا أرزاق الله فنقول: كأني مرتبة لها!

ولا زلت أذكِّركم نحن نقول في الصباح والمساء: ((وَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ)) أي لا بد أن أعتقد في قلبي أني لا أستطيع تدبير نفسي، وأقول لنفسي يا رب لا تكلني إلى نفسي هذه طرفة عين، في رواية أحمد ((إِنْ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي

---

(1) [سورة الشورى: 49، 50]

(2) [سورة الإنسان: 3]

(3) [سورة إبراهيم: 7]

(4) رواه مسلم في صحيحه(كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، 2577)

تَكِلْنِي إِلَى ضِعْفٍ وَعَوْرَةٍ، وَذَنْبٍ وَخَطِيَةٍ)) بمعنى أني لو اعتمدت على نفسك تأتي مصائب، ولو اعتمدت على نفسي أفضح نفسي، ((وَإِنِّي لاَ أَثِقُ إِلاَّ بِرَحْمَتِكَ)) لا أثق إلا في رحمة الله، أعتمد على الله.

لا تذكر لي الأسباب؛ لأن الله هو الأول الذي يأتي بالأسباب، يا أهل هذه البلدة المباركة قبل أن يفجر الله لنا البترول، ماذا كان حال هذا البلد؟ من كان في خاطره هذا البترول؟! من مدَّ يده ليأتي بالبترول؟! ومن يعرف أنه منذ أربع مائة عام قد هيّأ الله الأسباب لهذا البلد أن تكون على هذه الرفاهية، هل البترول في غمضة عين يتكوَّن! في الجيولوجيا تقولون إنه يحتاج بين ثلاث مائة عام وأربع مائة عام كي يخرج هذا البترول، يهيّئ لك قبل أربع مئة عام رزقك، ثم يكون شكرنا على هذا أن نعتمد على الأسباب! وكل مرَّة أقول لأولادي: لا أدري كيف يكون مستقبلكم! الذي هيأ لك الماضي هو الذي سيهيّئ لك المستقبل، يثقلون عليك لو كنت أنت رازق لهم، لكن رازقهم في السماء، فإذا كان رازقهم في السماء الواجب عليك أن تشكره أن وهب لك ما يُجري رزقه إليك.

كنتَ تُرزق لوحدك، الآن أنت وهو، ثم والبنت الثانية، والرابعة، والخامسة...اجتمعنا على الأرزاق، إلا أن طمعًا في الدنيا جعل الناس لا يروا عطايا الله، نحن الآن نخزن في بيوتنا طعام شهور ومع ذلك يشترون من الوجبات السريعة، وإذا لم نعطيهم حق الوجبات السريعة يغضبون ويقولون: كل يوم فقط هذا الأكل! هذا أتى بالتمرين نحن مرَّناهم إيَّاه، فهم قد تربُّوا على عدم الرضا على أي شيء، نحن نجني ثمرات كفرنا بنعمة الله!

إذًا هذا العنف الذي يحصل في المجتمع أثر من آثار عدم الشكر، لو شكرنا لأنزل الله-عزَّ وجلَّ-الرحمة كما أنزل الرزق في قلوبنا.

مما نقرره أيضًا:

أن التربية والحِفاظ على هذه الأسرة إنما هو من آثار اسمه الرب

بمعنى أنك تُردّد كل يوم: (رب العالمين، الرحمن الرحيم) **فما معنى اسم الرب؟**

الرب تأتي مِن يربِّي، الرب هو الذي يربِّي عباده، فالله-عزَّ وجلَّ-رب العالمين، يربّيهم، يحوّلهم من حال النقص إلى حال التمام.

من يربِّي أولادنا؟ الله، فإذا تمسَّكت بحباله، جعل في قلبك الطمأنينة، وهداهم الصراط المستقيم، لا تُقنع نفسك بثقلهم عليك وتقول: لا أعرف كيف أربيهم؟ الله هو الذي يربيك ويربيهم، لكن المشكلة نحن لم نرَ تربية الله، الله -عزَّ وجلَّ-يربي عباده لكن لأننا لا نعرف الله، لا نتمكَّن من تفسير أفعاله.

سأضرب لكم مثالًا بعيدًا عن الأبناء: كثير من البنات في المدارس تدرس وتجتهد وتبذل جهدها، وتذهب للاختبار ولا توفَّق، ثم بعد أيام تدخل اختبار آخر ويكون عندها ظروف في البيت وأوضاع ولم تذاكر، وقامت الفجر وصارت تدعي ربنا، وطوال الطريق وهي ذاهبة للمدرسة تدعي ربنا، تدخل الاختبار وتوفَّق، عندما درست لم توفَّق، لمَّا دعت وُفِّقت،

ولكن هي لا تخرج بهذه النتيجة، فتقول لوالدتها: أنا لمَّا درست لم أُجب، وعندما لم أدرس أجبت! تأخذ قاعدة، في المرة الثالثة تدخل الاختبار بدون دراسة، وبدون دعاء، ولم توفَّق، فتحتار ما هي القصة؟!

لو أن الأم تعرف الله، في هذا الموقف ستقول لها: لما دخلتِ وأنتِ معتمدة على نفسك كانت التربية أن يريك الله أنك لا تستطيعي شيئًا، ولمَّا دخلتِ معتمدة عليه أعطاكِ، وعندما دخلتِ لا درستِ، ولا اعتمدتِ عليه خذلكِ، الحل؟! لا بد أن تدرسي لكن لابد أن يكون مع الدراسة ثقة بالله.

هذا موقف حقيقي حصل لطالبة في الصف الثاني أو الثالث الابتدائي، البنات في هذا السن، سن تبديل أسنانهم-أكلِّمك عن تربية الله لخلقه منذ أن يدركوا ويفهموا أن الله يربي خلقه لكن أهم شيء أن يكون مع هذا الذي يتربى أحد يفسِّر له التربية-هذه الطفلة في الفصل، في هذه الحصة وقع سن أحد زميلاتها ونزل دم، قامت المعلمة أخذتها لدورة المياه واهتمت بها...الطفلة الثانية رأيت اهتمام المعلمة بها، وبعد أسبوع بدأ سنُّها يتخلخل، قالت أمها: تعالي أخرجه لكِ. قالت لها البنت: لا لا، -لأنها متعلقة باهتمام المعلمة-

فلمَّا دخلت الفصل وسقط السن في وقت وجود المعلمة، أخذت المعلمة منديلًا وأعطته لها، وأكملت الشرح ولم تهتم بها! قد تقولين: تحطَّمت البنت. ونعيش هذه المشاعر، لكنها لم تتحطَّم ولا شيء.

فلمَّا عادت الطفلة للبيت حكت لأمها ما حصل لها وما حصل في السابق مع زميلتها.

فالأم التي تعرف عن الله تقول لها: ربنا يربيك ويعلِّمكِ أنكِ عندما تتعلَّقين بالخلق يقطع الله نفعهم عنكِ، عندما تتعلَّقين بالله يسوق إلى حدك من يعينك، ونبسِّط لهم الكلام حسب سنهم.

إذًا ما هو دوري في التربية؟ ترجمة أفعال الله للخلق، الله يربي خلقه، والخلق يفهمون تربية الله، أنت كبير وتفهم ما تفعل، لكن الصغير تترجم له فعل الله، فتقول له: لو تعلَّقت بالله، ربنا لن يخذلك.

قد يحصل منا مواقف خاطئة، مثلًا أنا أذاكر له، وغدًا يذهب للمدرسة، وأقول له هذا السؤال مهم، وهذا السؤال مهم، أكيد هذا يأتي في الاختبار، وعندما يحصل مثلما قلت له، يأتي ويقول: أمي كلامك صحيح. فيأتيني انتفاخ، وأقول له: قلت لك كي تعرف أن أمك كذا وكذا...! مع إنه أتت لكِ فرصة ثمينة أن تذكري له أنه ما يرشدنا إلا الله، ما يعلمنا إلا الله، هذه من عطايا الله، أقول له: أنا وأنت في الحياة في حالة عمى لو لم يبصِّرنا الله.

المفترض أن تدور أسماء الله في حياتي مع الطفل من وقت أن يفتح عينه، ويفهم الخطاب، ويردّ الجواب، وأنتِ تتكلمين عن الله، إلى أن تغادري الحياة أو هو يغادرها، ونحن نقول: ربنا يعطينا، يهب لنا، يوفقنا، يرزقنا، يرشدنا، يطعمنا، يسقينا، يكسينا، لا تتكلمي إلا عن الله، بذلك هو يكون عبدًا لله، بذلك تكون التربية، أنا في نفسي لست قادرة على تغيير شيء، كيف أغير في هذا؟! الله وهبه، وكان ضامنًا لتربيته، لكن متى ما علمته أنت عن الله.

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: ((يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟)) قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: ((يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟)) قَالَ: قُلْتُ: {اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ: ((وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ!))[1].

بمعنى أن مَن عَلم عن الله فقد أتاه العلم الذي يجعله في حالة من هناء.

فحتى نعالج الظواهر الاجتماعية علينا أن نرجع لأصل المشكلة، فمثلا كي أعالج مشكلة: (الإيمو) التي ظهرت في بعض المدارس بين الطالبات، ولها تفاصيل...أصل المشكلة: شخص لا يعرف سبب وجوده في الحياة؛ لأنه لا يعرف الله، لذلك ينحرف هذا الانحراف ويتمنَّى أن يقتل نفسه! كل الظواهر الاجتماعية إنما هي إفرازات لبؤرة واحدة ضعيفة، عندما تدرسين كل الظواهر الاجتماعية، ستجدينها تعود إلى شيء واحد (ضعف العلم عن الله)، ضعف العلم مع طباع تخص الناس.

لابد أن نقرر أن العنف الأسري أحد أسبابه: عدم التعلق بالله في تربية الأبناء، فتشعرين أنه لا يريد أن يهتدي، لا يسمع الكلام، أضربه؟! طبعًا ليس هذا هو الحل، الحل أنني أعرف من هو هذا الشخص.

مثلًا من الأمراض التي نعيشها الآن ما يسمى بمرض (فرط الحركة)، 80 % ممن تعرضوا للعنف الأسري شخّصت حالاتهم أنهم مصابين بفرط الحركة! هؤلاء يستلزمون منا الرحمة، هذا مصاب بمرض يجعل كهرباء بدنه أعلى من كهرباء بدن الناس، فتأتي له من الشحنات الكهربائية ما تسبب له الحركة، ليس بيده، المفروض نثقف المجتمع في معالجة فرط الحركة، هذا الطفل يحتاج أن يخرج إلى منطقة واسعة عدة أيام في الأسبوع، يجري فيها ما استطاع، يُترك يعمل أعمال في مناطق بعيدة عن الأخطار (منطقة برية)، هذا الكلام للعلاج يبدأ من 8 سنين، أما قبل 8 سنين له طريقة أخرى.

الكلام طويل في هذا لكن في النهاية نحن ابتلينا بهذه البلاءات، وإذا ابتلينا فلا بد أن صبرنا عليه ومراعاته ستكون سبب لصلاحه، لا تيأسي منه، لكن الضرب سبب لزيادة البلاء، الآلام البدنية ترفع الشحنة، فهي تضربه وهو يزيد! لا تفهم أن هذا الأمر ليس بيده، ثم يتشوه نفسيًا!

ننصح الناس الذين في بيوتهم أحد عنده فرط حركة أن يترك له مساحة خالية، غرفة خالية لا يوجد فيها مؤذيات، ويبقى يدور فيها، أما أن نظلم الطفل ونحبسه عن غرف فيها تحف وننتظر الضيف الغائب! هو أحق بالبيت الآن، ومَن سيأتي من الضيوف نجهز له ما ينبغي، لا بد أن نتعامل بالحقوق.

نحتاج إلى تغيير في التركيبة الاجتماعية لنحل بعض المشاكل التي تضر أبناءنا، والحمد لله ربنا موسع علينا، أمهات الجيل الماضي لم يشعروا بفرط الحركة، كانت الشوارع أحد التنفيسات، لا أحد يشعر بهم، واليوم ابتلينا بهذه الشقق لكن نوسع عليهم قليلًا فيها.

(1) رواه مسلم في صحيحه(كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسيّ، 810)

اتفقنا الآن على ثلاثة قواعد:

أولًا: أن الأسرة نعمة، والمودة والرحمة فيها من الله.

ثانيًا: الشعور أن الأبناء هبة من الله والمفترض ألَّا نكفر بهذه الهبة.

ثالثًا: الشعور أن التربية من الله ونحن مرشدون في التربية.

رابعًا: نعلم أن الشريعة أرشدتنا لقواعد التربية سنذكر قاعدة واحدة تناسب العنف الأسري وهي القاعدة التي ذكرت في الحديث: ((إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ))[1]، ومثله قول النبي-صلى الله عليه وسلم- لعائشة: ((يا عائشةُ ! إنَّ اللهَ رفيقٌ يحبُّ الرِّفقَ، ويُعطي على الرِّفقِ ما لا يُعطي على العنفِ. وما لا يُعطِي على ما سواه))[2].

فأكثر شيء تأخذ فيه أجر وأنت تعامل أي أحد أن يقع في قلبك إرادة الرفق، إذًا ليس كل ما خطر على بالي كلمة أقولها وفيها عنف أقولها، المشكلة الحقيقية أن ألسنتنا تسبق قلوبنا، عقولنا وراء ألسنتنا وليست أمامنا، أتكلم بعد ذلك أفكر بالذي قلته!

العنف يبدأ بالكلام قبل أن يبدأ بدنيًا، لأن التشويهات النفسية غالبًا تكون تشويهات بدأت بالكلام، والكلام هو وسيلتك للوصول لكل أحد، يمكن أن يمارس شخص العنف على شخص بعيد عنه بالهاتف يُسمعه كلمات يمرضه على الفراش! الاعتداء يكون بالكلام ثم الاعتداء البدني.

هناك كلمة طيبة فيها رفق، وكلمة سيئة فيها عنف، وكلاهما يؤدي نفس الأمر.

إذًا هذه قاعدة من قواعد التربية وهي: الرفق.

ثم أن الرفق لا يكلف كثيرًا في مقابل أن العنف استجابة لهوى النفس وبعدٌ عن **التقوى**.

سأختصر هذه النقطة لأنها مهمة وتدخل في كل أمور الحياة وليست فقط في العنف الأسري.

تسمعون إلى أي درجة يمدح الله في كتابه المتقين؟ كثير، قال تعالى: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}[3]، {فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}[4]، {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}[5]... **أتدري ما التقوى؟** التقوى هذه أنت تمارسها بعدد أنفاسك...

الحياة عبارة عن قاعة كبيرة للاختبار، يقول الله-عزَّ وجلَّ-في أوائل سورة الملك: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(1) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}[6] ليبلوكم: بمعنى ليختبركم، كلنا

---

(1) رواه مسلم في صحيحه(كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، 2594)

(2) أخرجه البخاري (6927)، ومسلم (2593).

(3) [سورة البقرة: 194]

(4) [سورة آل عمران: 76]

(5) [سورة المائدة: 27]

(6) [سورة الملك: 2،1]

في قاعة كبيرة للاختبار، ما هي الأسئلة؟ قال تعالى في سورة الفرقان: {وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً}[1] كل الناس من زوج إلى الخادمة، والجيران والأقرباء والزملاء في العمل...كلهم على حد سواء في دين الله (اختبار).

إذًا من أجل أن نفهم التقوى:

الدنيا قاعة اختبار كبيرة.

والأسئلة دائمًا محيطة بنا.

من أعظم الأسئلة أن قلبك دائمًا في صراع وخلط، فهو اختبار لك، قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: ((التَّقوى ها هُنا، التَّقوى ها هُنا))[2] كيف يحدث الصراع؟ كما في الحديث ((تُعرَضُ الفتنُ علَى القلوبِ كالحصيرِ عودًا عودًا فأيُّ قلبٍ أُشرِبَها نُكِتَ فيهِ نُكتةٌ سَوداءُ وأيُّ قلبٍ أنكرَها نُكِتَ فيهِ نُكتةٌ بَيضاءُ))[3].

تمثّل التقوى بصورة حسية: اعتبر هذه الطاولة قلبك، خادمتك كسرت تحفة من التحف الغالية هذا قلبك، وهذه التحفة التي انكسرت، والخادمة التي كسرتها كأنها في الوسط بدأ الصراع حولها، الطاولة فيها يمين وفيها يسار تسمع صوتين:

صوت على اليمين يقول لك: {أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}[4]، {إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوَءٍ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا}[5].

وصوت على اليسار يقول لك: لو سكت عنها ستتمادى وستفعل وستفعل...وأنت في صراع والله ينظر إلى قلبك ((إنَّ اللَّهَ لا ينظرُ إلى أجسادِكُم، ولا إلى صورِكُم، ولَكِن ينظرُ إلى قلوبِكُم))[6] خصوصًا لحظة الصراع.

إذا استجبت لصوت الحق عن يمينك أصبحت تقيًا، وإذا استجبت لصوت يسارك أصبحت متبعًا لهواك، فإما أن تكون تقيًّا وإما أن تكون صاحب هوى.

كرري الصورة على كل شيء، مثلا ولدي لا يريد أن يدرس، أستطيع أن أقول له: يا ولدي الله يرضى عليك الله يوفقك...وأستطيع أن أقول له: سأضربك وسأفعل بك كذا وكذا...والولد في الوسط معركة حوله، والله سينظر إلى قلبك هل ستتابعين هواكِ أو ستتقين الله وتكونين أرفق به؟! ((إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ)).

أخرج إنسان سوي النفسية جيد في علاقته الاجتماعية، أو أخرج ناجح عمليًّا محطم نفسيًا! ثم إن زمن الذكاء انتهى، لا بد أن ننفض التعليم، وبدلًا من أن يُضرب على الصلاة يُضرب على جدول الضرب! كأن جدول الضرب من أسئلة القبر!

---

(1) [سورة الفرقان: 20]

(2) رواه مسلم في صحيحه (كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، 2564)

(3) رواه مسلم في صحيحه (كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا، وأنه يأرز بين المسجدين، 144)

(4) [سورة النور: 22]

(5) [سورة النساء: 149]

(6) رواه مسلم في صحيحه (كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، 2564)

اليوم يقال ما هو نوع ذكاءك؟ وليس ما هي نسبة ذكاءك، من أنواع الذكاء ذكاء اجتماعي، ذكاء تواصلي، ذكاء في اللغة، ذكاء صوتي، ذكاء حركي، ذكاء في الاتجاهات...ولا يلزم لكل الناس معرفة الرياضيات!

الذكاء ليس نوعًا واحد من أجل أن أعنفه وأحطِّم نفسيته لأنه لم يحل مسألة رياضية! ولذلك عندما نذهب إلى المدارس نجد أنهم ينتقمون من الكتاب! لهم حق فيما يفعلون فنحن الذين سببنا ظاهرة العنف تجاه الكتاب.

ظهر مؤخرًا ما يسمونه بظاهرة (الدمار الشامل)! هذه الظاهرة بدأت تظهر في جدة والطائف، يأتون في آخر يوم من الاختبارات ويحضرون معهم بويا سوداء ورماد وكل المعلمات في الكنترول مشغولين بأوراق الاختبارات، فيضعون اللون الأسود على كل المدرسة! ويضعون فوقها وهي مبللة الرماد بحيث لا يوجد حل لتنظيفها حتى يصير تقشير تام! ويكتبون الدمار الشامل، ثم صارت ثقافة ولهم مواقع يتواصلون بها في مجتمعنا! وهي مأخوذة من ثقافة خارجية بدأت في اليابان.

تصوروا في وضعنا الحالي في مدينة جدة نسبة التسرّب في الصف الأول المتوسط 42% ! مصيبة كبيرة! وصرنا نعالج في العيادات النفسية طالبات الصف الأول المتوسط لأنهم لا يقبلون الدخول، يأتي البلوغ مع بغض المدرسة.

أصبحنا نقدّم برامج ننشط مسألة المنازل نقدّم برامج بديلة...

أكيد أنها تعرضت لعنف في المرحلة الابتدائية مما جعلها تصل إلى هذه النسبة في التسرب!

يجب أن تعالج بالرفق ((ما كانَ الرفقُ في شيءٍ إلا زانَهُ)) التقوى التقوى التقوى، اتقي الله في لحظة الصراع، اتقي أن تستجيب لهواك، {أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ}[1] ونحن نربي أبناءنا ممكن أن نمارس عليهم الهوى ونترك التقوى.

أولادنا اختبار عظيم {وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ}[2] كل القضية (أتصبرون)، نصبر والله-عزَّ وجلَّ-لا يضيع أجر من يصبر {إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}[3] تصبر وتتقي ما يضيعك الله.

هناك مشكلة وهي شعورنا أن هؤلاء الأبناء مُلْك لنا وأن الله-تعالى-لن يحاسبنا عنهم.

لعلاج هذه المشكلة سنقرأ اسم **الديان** من هذا الحديث وسيبن لنا كيف تكون علاقتنا بهم...

يقول-صلى الله عليه وسلم-: ((يُحشَرُ العبادُ عُراةً غُبْرًا بُهمًا قلنا: ما بُهمًا؟ قال: ليس معهم شيءٌ ثمَّ يُناديهم ربُّهم تعالَى بصوتٍ يسمعُه من بَعُد كما يسمعُه من قَرُب: أنا المَلِكُ أنا الدَّيَّانُ لا ينبغي لأحدٍ من أهلِ الجنَّةِ أن يدخُلَ الجنَّةَ ولأحدٍ من أهلِ النَّارِ عليه مظلَمةٌ حتَّى أقتصَّه منه، ولا لأحدٍ من أهلِ النَّارِ أن يدخُلَ النَّارَ ولأحدٍ من أهلِ الجنَّةِ عنده مظلَمةٌ حتَّى أقتصَّه منه حتَّى اللَّطمةَ قلنا: وكيف وإنَّما نأتي اللهَ-عزَّ وجلَّ-عُراةً غُبْرًا بُهمًا؟ فقال: بالحسناتِ والسَّيِّئاتِ))[4].

توضيح للحديث: قُضِيَ على الخلق ودخلوا وتعدّوا الصراط صار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، لا يدخل الرجل من أهل الجنة إلى الجنة ولأحد من أهل النار حق عنده سواء كان كافرًا أو عاصيًا!

---

(1) [سورة الفرقان: 43]

(2) [سورة الفرقان: 20]

(3) [سورة يوسف: 90]

(4) المستدرك على الصحيحين للحاكم، هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ.

مثلًا ممرضة كافرة في مستشفى، خاصمتِها وسرقتِها واعتديتِ عليها...هي كافرة ستدخل النار أكيد، لكن لن تدخل النار إلا وتأخذ حقها منكِ: ((حتَّى أقتصَّه منه، حتَّى اللَّطمةَ، قلنا: وكيف وإنَّما نأتي اللهَ-عزَّ وجلَّ-عُراةً غُبْرًا بُهمًا؟ فقال: بالحسناتِ والسَّيِّئاتِ فاتَّقوا اللهَ عبادَ اللهِ)) حتى اللطمة على من هو مستضعف تحت يدينا من أولادنا، كل لطمة لطمته ليس لحق شرعي سيأخذها منك، وعلى ذلك قيسي باقي الضرب والعقوبات...كل هذا سيكون حقوقًا يأخذونها، فشعورك بالمحاسبة عليهم يمنعكِ أن تكوني عنيفةً معهم.

إذًا مما يحدُّ من ظاهرة العنف الأسري (**تنمية المراقبة لله في التعامل مع الأبناء**).

بعدما اتفقنا على القواعد، نأتي إلى **تعريف العنف الأسري**...

العنف الأسري هو السلوك الذي يقوم به أحد أفراد الأسرة دون مبرِّر مقبول، ويلحق هذا السلوك ضررًا ماديًا أو معنويًا أو كليهما بفرد من أفراد الأسرة.

توضيح للتعريف: الضرر بالضرب أو الحبس أو الحرمان من حاجات أساسية والإرغام على القيام بفعل ضد رغبة الفرد والطرد والسب والشتم...

هناك عنف له مبرر، فعندما أجد انحراف سلوكي يجب أن يقع شيء من العنف المناسب، مثل عندما نكتشف بنتًا لها علاقات...لا بد أن تعامل بحزم؛ لأن الرفق هنا ليس في مكانه.

- نبدأ بأخطر مسألة وهو العنف الذي يعتبر مِن أخطرها وأكثرها حساسية وهو: **العنف الجنسي** وهو تعرض الصغيرات للتحرش.

للأسف من الإخوان الكبار يمكن أحيانًا من أهل البيت من المحارم الأخوال الأعمام الآباء أحيانًا! من الصعب جدًا مناقشته، لأنه مؤذي جدًا أن نسمع كلام مثل هذا خصوصًا في مجتمعنا...لكن نتكلم مباشرة عن الحل.

أولًا: ظهور هذه الظاهرة دليل على الانحراف الفطري (شذوذ فطري)، العلاج مع نفس المعتدين إنما هو (بحماية المعتدى عليه)، لا نريد أن نفقد الثقة في المحارم والأقربين، لكننا لا نريد أيضًا أن نعطيهم ثقة ليست في مكانها.

كثير ممن يحصل منه الاعتداء الجنسي على المحارم ماكر عنده أساليب وحيل مع العائلة بحيث ما يُشك فيه! وهي عندما تكون طفلة صغيرة خصوصًا إذا لم تتجاوز العشر سنين أو اثنتا عشرة سنة خائفة أن تتهم أو لا تفهم شيء...!

كيف أعرف أنه حصل اعتداء وتحرش؟

أولًا: الخوف الشديد، بمجرَّد أن تنقلب الطفلة من مشاعر الأمن إلى مشاعر الخوف وتقول لأمها: أريد أن أنام عندك، خذيني معك، لا تتركيني في البيت... كلام مثل هذا لا يستهان به.

ثانيًا: السرحان، كانت دائمًا تشاركني وفجأة أصبحت يغيب ذهنها عني، خصوصًا إذا كانت هذه الطفلة كتومة، وغالبًا هؤلاء من مكرهم لا يصطادوا إلا الكتوم.

ثالثًا: التبوّل اللا إرادي بعد انقطاعه، بمعنى أنها بعدما كبرت وأصبح عمرها أربع سنين مثلا ولا تتبول، وفجأة تتبول لا إراديًا ولو مرة واحدة معناه أن هناك مشكلة.

حتى أبسط التحرشات مثل الملامسة اليدوية تسبّب للطفلة مثل هذه المشاكل.

نحن نأخذ بالاحتياط ولا نخون أحد، الشباب الأقل من ثلاثة وعشرين خطر علينا في البيت خال أو عم أو أخوان، خصوصًا إذا عرفت عنهم أنهم يشاهدون الأفلام، ويؤسفني أن أقول إنه يستوي المستقيم وغير المستقيم! نسأل الله أن يهديهم ويدلّهم ويفتح عليهم.

انفراد البنت مع أحدهم، إرسالها للدوام مع أحد منهم، هذا الكلام مع المحارم، أما غير المحارم أسوأ حالًا، لا يقال هذا سائقنا له عشرين سنة؛ لأن لحظة الاعتداء لحظة شيطانية.

- نتكلم عن أخف نوع في نظرنا من العنف الأسري لكن هو في الحقيقة مشكلة وهو: **العنف بالكلام والشتم**.

الشتم الذي يسبب العنف له أنواع:

أوّله وأهمه وأخطره: شتم الطفل أو الشاب بأمر يتصل بالبدن. هذه من أشد أنواع الأذية العنف الذي يسبب احتقار الذات.

في دراسة سرية للشابات المنحرفات في مدارس إحدى مدن المملكة...أحد أهم أسباب انحرافهن التي يذكرونها (ردّ عن النفس احتقار الذات) تقول: على الأقل شخص لا يقول لي: يا قصيرة، بل يقول لي: يا جميلة! نعم، هو يخادعها، لكن الذي أدخلها في هذه الأزمة مَن يقول لها: أنت قصيرة، أنت لست جميلة، أي زوج سيتحملك! سيرجعك ثاني يوم! فتفتش عن واحد لا يرجعها ثاني يوم! تشعر أن هذا قرارها ولا بد أن تتحمله! هؤلاء ما بين أول متوسط إلى ثالث متوسط!!

طبعًا عنف وراء عنف سبب أنها تحتقر ذاتها، فتجرب أي شيء، تخرج تبحث عن شخص يقدِّر لها ذاتها كما يعبّرون!

أصعب أنواع الشتم أن يشتم الإنسان في ذاته في نفسه.

هؤلاء أمانة في أعناقنا والرفق ما كان في شيء إلا زانه.

وقد مرَّت بنا حالة: طالبة في الصف الثاني الثانوي ربنا وفقها وخُطبت، أهلها فصّلوا لها فستان وقالوا لها: لا بد أن ينزل وزنك، ودخلت في رجيم، صار عندها هبوط في القلب لأنها لا تأكل ولا تشرب وماتت!! دخلت في حالة نفسية، أهلها في البيت كانوا يقولون لها: لا تفضحينا، فلا يوجد مجال لتوسيع الفستان، أصبحت ضحية الفستان!

هل صلاحها بقلبها أو صلاحها ببدنها؟!

علينا أن نفكر في الأولويات، كيف نربي البنت وهي مراهقة على أن يكون نظرها كله على بدنها! أين يكون قلبها وعقلها وعنايتها! هل ستنجح في الحياة عندما تكون رشيقة؟!

أضرب هذه الأمثلة البسيطة لكي نرى أن مسألة العنف حقيقة منتشرة، في المقابل أحكي موقفًا عكسيًا:

أم تدرّب بنتها على أن تقوم بأعمال البيت سادس ابتدائي، من بين الأعمال قالت لها: اكوي مريولك-الزي المدرسي-، فحرقته، في العصر قالت لها: حرقته، قالت الأم: هذا قدر الله، الآن نذهب ونخيط آخر، وذهبت بها وانتهى الموضوع.

البنت تقول لي: أثر هذا الموقف عليَّ أن أبقى وأتحمل المسؤولية، ما عنّفتني، الآن كبرت وبقيت إنسانة مسؤولة بسبب هذا الموقف من أمها، فلما أدرّب بنتي طبيعي أن تخطئ، لا أتصور مدرَّب لأول مرة ولا يخطئ.

البنت لو لم تسمع من أمها: (أحبك) ستذهب وتبحث عن أحد يقول لها هذا الكلام! فنحن نحصد ما نزرع...

تصوري أنا والزوج راكبين مركب أنا أجدف وهو يجدف، فجأة ونحن في وسط البحر قرر ألَّا يجدف، هل ستجدفين بيديك أم ستتركين المركب يغرق؟! لا تقولي له: أوقظ الأولاد وأنت تعلمين أنه سيستعمل العنف، أنا في مركب أجدِّف بيدي الاثنين.

واعلم أنك كلَّما زدت صدقًا، يوفقك الله-عزَّ وجلَّ-، بل ويوفقك لتقليص حجم الرجل في البيت ويعينك على تحمّل المسؤوليات...

تاريخ العنف:

متى بدأ تاريخ العنف الأسري؟ لمَّا قتل أحد ابني آدم أخاه، أول قتل كان ممارسة للعنف الأسري، على ذلك هناك تاريخ طويل للعنف الأسري، كذلك ما حدث من إخوة يوسف.

إذًا هناك أسباب يمكن أن تساعد على وجود العنف الأسري، ولا بد من تشخيصها وتصورها من أجل أن تُعالج.

الأسباب الشخصية:

هذا الحديث مهم جدًا في تصور كسب القيم أو تصور فقدها، يقول النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلاَقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ))[1] معناه أن جزء من أخلاقك هو طباع طبعك الله عليها.

وهناك جزء ثانٍ مكتسب في حديث أشج بن عبد قيس لما قال له النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ)). قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمِ اللَّهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا؟ قَالَ: ((بَلِ اللَّهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا))[2] معناه أن

(1) المستدرك على الصحيحين للحاكم، تعليق الذهبي في التلخيص: صحيح الإسناد.

(2) سنن أبو داود، تحقيق الألباني: "قول زارع: لما قدمنا المدينة.... ورجله) حسن دون ذكر الرجلين، (وقوله: وانتظر المنذر الأشج حتى... و رسوله) صحيح".

هناك جبلة وهناك مساحة للاكتساب، نص الفطرة يقول إن الناس كلهم فطروا على الحق، ونص الجبلة يدل على أن الناس اختلفوا بالجبليات.

أين اختبارنا؟ في الجبلي. يقال لك: اعرف ما جبلت عليه، لتكتسب ما يجعلك تنتفع بما جبلت.

لو كنت غضوبًا، يقال لك: اكتسب من المعارف ما يجعل غضبك يهدأ لله، فيصبح غضبك سبب للقربة إلى الله؛ لأنك ستسكن غضبك لله.

لو كنت كريمًا، اكتسب ما يجعل كرمك لله.

فسواء كانت الجبلة حسنة أو سيئة، في الحالتين لا بد أن تكتسب شيء ينفعك بهذه الجبلة.

مثال: عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-كان غضوبًا، وعندما دخل الإيمان هذَّب الغضب وصار يغضب لدين الله.

ما علاقة هذا بالعنف؟

وأنا أعالج مشكلة العنف لا بد أن أعرف هذا الشخص العنيف ما طبعه الذي سبّب له العنف، غضوب أو يقع في قلبه الحرقة على نفسه، أو حقود...فتكتشف مشكلتك في طباعك، فتغذيه بمكتسبات تخفف عنك هذا الطبع.

هناك برامج يسمونها الجلسات المعرفية السلوكية أو كتب مختصَّة يقرؤها تُدخل له ثقافة على طبعه حتى يتغير، صحيح أنه لا يزول لكن يصير في حالة ضبط له.

أحيانًا كثيرة يكون العنف ناتج ليس عن مؤثرات خارجية إنما يكون عن طبع جبلي، يحصل العنف في **الحسد**، الكبير يحسد الصغير على شيء فيضربه! يصير عنيف على إخوانه...قد أجد أوراق البنت الصغيرة ممزقة ومبعثرة، أخوه الكبير عبث في أغراضه! هذا يعتبر نوع من العنف، ماذا عنده جبلة؟ حسد لا يريد أن يثني على أخوه ولا يريد أن يصبح أحسن منه، المفترض أن تغذي الطفل الكبير بما يعالج الحسد، ولا تقولي له: أنت تحسد أخاك، نكتشف ونمسكه بمفرده ونغذِّيه.

هذه لها برامج غالبها يدور على النصوص الشرعية، أقرأ كل النصوص حول الحسد وعن علاجه، الصلة بينك وبين الذي تربينه هو الكلام، والله هو المربي سيرزقه من يعلمه ويعينك عليه.

المقصد أن هذا التاريخ الطويل من العنف يبيّن لكِ أن في الصفات الإنسانية ما يسبب وجود العنف، لا بد أن نبدأ في مجتمعنا، غالبًا العنف جاء من الصفات النفسية أكثر من الصفات البيئية، استخدام السلاح ليست ثقافة مجتمعنا، فمن ثمَ جاء العنف ليس من المجتمع جاء العنف من الصفات الشخصية.

الأسباب التي تساعد على وجود العنف الأسري:

1. أسباب ذاتية ترجع إلى صفات الشخص.
2. أسباب اجتماعية غالبًا ليست موجودة في مجتمعنا، نحن نتمتع بحياة مرفهة بفضل الله علينا.
3. أسباب مجتمعاتيَّة، مثل الذي يحدث عند إخواننا في مصر وفي تونس وفي العراق، كل هذا بعد انهيار الدول ينتشر العنف حتى داخل البيوت، نسمع قصص اليوم مثل أن عائلة لم يستطيعوا تقسيم الإرث بينهم فقتلوا بعضهم! عدم وجود الأمن.

المقصد أن هذا الأسباب الاجتماعية والمجتمعاتيَّة بالنسبة لمجتمعنا غير متوفرة بنسب، أكثر شيء سبب في مجتمعنا الأسباب الذاتية، وهذا يحتاج لعلاج أسرع وأسهل، فقط المسألة تحتاج إلى نهضة تثقيفية.

لو دخلت على جارتي ووجدتها تسب أولادها أقول لها: ((ما كانَ الرفقُ في شيءٍ إلا زانَهُ، ولا نزعَ منْ شيءٍ إلا شانَهُ))

ترى هذه آثام عند الله حتى لو كانت ابنتك...لا زال الإيمان والتقوى موجودين في قلوب الناس وأقل تنبيه يأتي بهم.

مثل هذا يخاطب به المعلمين والمعلمات لأن التعليم أصبح أكبر أحد مراكز وبؤر العنف المدرسي.

أسأل الله أن ينفعكم بما مضى من كلام، وأن يجعلنا من أهل الرفق، وأن يأجرنا على الرفق، وأن يجعلنا ممن ينشر في المجتمع ثقافة الرفق.

بارك الله لي ولكم فيما نقول ونسمع.

والحمد لله رب العالمين.